

رحلتى إلى موناكو

كانت هى الرحلة الوحيدة التى نظمها لنا المكتب الثقافى المصرى فى باريس خلال أكثر من ست سنوات . وكنا مجموعة من المبعوثين بصحبة عائلاتهم ، وقد حملنا الباص السياحى من أول المساء حتى الصباح ، لم يتوقف طوال الطريق إلّا فى ضواحي مدينة لاون لمدة نصف ساعة . وفى الصباح الباكر كنا قد وصلنا إمارة موناكو التى تقع فى الجنوب الشرقى من فرنسا . وهى بدون مبالغة من أجمل وأنظف مدن العالم كله . خالية تماما من التلوث السمعى والبصرى والدخانى .

والفلل متباعدة عن بعضها بمسافات واسعة . ونادرا ما تجد أحدا يمشى على قدميه فى الشوارع . أما الأشجار المزهرة فتقوم على الجانبين فارشة الظل ومعطرة الجو برائحة ترد الروح .

وقد نيهنا سائق المياح إلى ظاهرة فريدة من نوعها وهى عدم وجود أى ورقة شجر جافة فضلا عن علبة سجاثر فارغة ملقاة على طرقاتها ، وبالمطبع هذا يعنى جهدا متواصلا من عمال النظافة ، الذين لم نشاهد منهم شخصا واحدا !

موناكو إمارة فرنسية تابعة لفرنسا سياسيا ، ولكنها مستقلة بنفسها إداريا وماليا ، ولها عملتها الخاصة بها ، وأميرها يتولى الحكم بالتسلسل الوراثى وليس بالانتخاب . والإمارة تقع مباشرة على البحر الأبيض وهى بدون شواطئ رملية ، وإنما هى على قمة هضبة عالية تطل على الماء ويمكنك أن تشاهد السمك من درجة صفائه وهو يسبح دون أن يزعجه أحد من البشر .

وقد أقاموا على قمة تلك الهضبة متحفا للأسماك لعله الأشهر فى العالم بسبب جودة تنظيمه وتنوع الأصناف المعروضة فيه ، بدءا من الحيتان الضخمة حتى سمكة السردين الصغيرة جدا . وأمام هذا الإبداع لا تملك إلّا ان تسبح الله تعالى على كل هذا التنوع والجمال الإلهيين !

لكن موناكو لم تعتبر بذلك ، وإنما أصبحت تحتوى على أكبر وأشهر كازينو للقمار فى أوروبا كلها . بل إنه الكازينو الذى يرتاده أغنى أغنياء العالم . وقد زرناه فوجدنا وجوه هؤلاء يكسوها القلق ، ويسرى فى عروقها الخوف الدائم من الخسارة ، وقلمنا وجدنا أحدا منهم يتكلم أو يبتسم . إنه جنون القمار ولعنته.

أما الحديقة التى توجد أمام هذا الكازينو فهى مليئة بألوان المورود والزهور من مختلف الأنواع والألوان ويقال إن تكلفتها اليومية

تبلغ ربع مليون فرنك !

عند المظاهرة توقفنا قليلا أمام إحدى مدارس الأطفال ، وكان وقت خروجهم فماذا رأينا ؟ عشرات سيارات الرولرزويس تقل أطفالها وفى استقبالهم إما الأمهات المتأنقات ، أو المسائقيين الذين يضعون فى أكفهم الجوانتيات .

جمال وهدوء وحياة خالية — فيما يبدو — من أى تنغيص . أما أنا فلم أسترح تماما لها .. أنا الذى تعودت على الضجيج والمزحام والمناوشات البريئة التى تحدث فى العادة بين الناس البسطاء . لكن أهل موناكو قد تعودوا على حياتهم المرفهة والرتيبة ، ويبدو أنهم لا يتابعون ما يجرى فى العالم من حروب ومجاعات وكوارث لذلك عندما يصيبهم الملل من حياتهم يتجهون إلى كوبرى شهير لديهم ويلقون بأنفسهم من فوقه متخلصين من حياتهم .. كما فعلت أميرتهم جريس كيلي التى كانت ممثلة أمريكية مشهورة جدا ثم تزوجها أمير موناكو الراحل ، لكن هذه الحياة لم تعجبها ، أو لم تلائمها ، فركبت سيارتها الفارحة ، حتى بلغت كوبرى الموت ، وألقت بنفسها من فوقه !

[عودة](#)